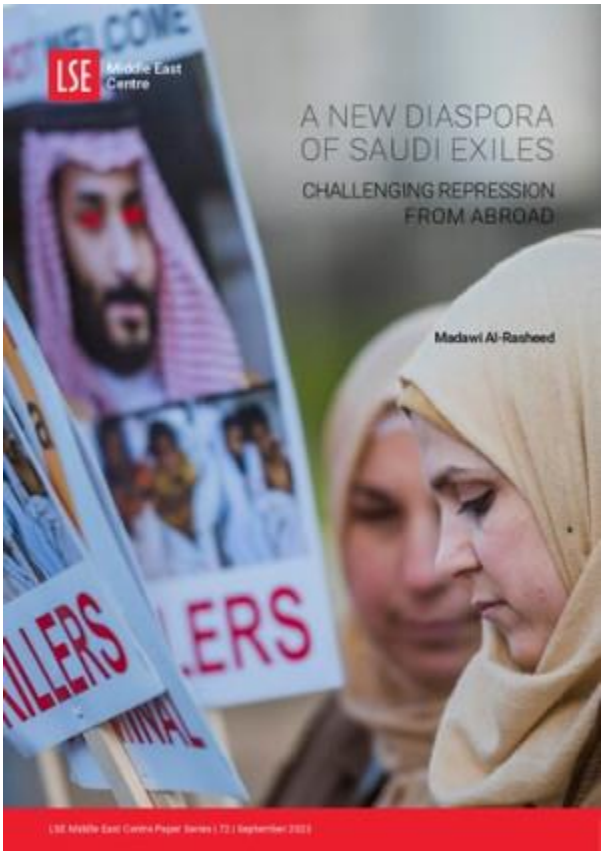

مضاوي الرشيد:

منفى يتشكّل: قراءة في كتاب "الشتات السعودي الجديد"

في كتابها "A New Diaspora of Saudi Exiles: Challenging Repression from Abroad" تقدّم الباحثة البارزة مضاوي الرشيد واحدة من أهم المقاربات التحليلية حول ظاهرة آخذة في الاتساع: خروج معارضين أو مستقلّين أو باحثين عن فضاء آمن خارج حدود المملكة السعودية، وتحوّلهم تدريجيًا إلى شتات سياسي قادر ـ بمستويات متفاوتة ـ على تحدي السلطة السعودية من الخارج، وكشف طبيعة القمع الداخلي، وخلق مساحات جديدة للخطاب البديل.

هذه الظاهرة ليست جديدة تمامًا، لكنها ـ كما تؤكد الرشيد ـ اكتسبت بعد عام 2015 وما تلاه من صعود محمد بن سلمان، حجمًا ونوعية وتأثيرًا مختلفًا، جعلتها حالة تستحق الدراسة بكونها جزءًا من إعادة تشكيل المجال السياسي السعودي، بل وإعادة صياغة صورة المملكة في الغرب.

تسعى الرشيد في كتابها إلى تفكيك هذه الظاهرة من ثلاث زوايا:

ـ ما الذي يدفع السعوديين إلى المنفى؟

ـ كيف يعيد الخارج صياغة هويتهم السياسية؟

ـ وما طبيعة التهديد الذي يشكّله هؤلاء للسلطة في الرياض؟

هذه القراءة تستعرض أهم أفكار الكتاب، وتضعها في إطارها السياسي والاجتماعي الأوسع.

أولًا: لماذا يخرج السعوديون؟ من هجرة اقتصادية إلى منفى سياسي

تُظهر الرشيد أن موجات الهجرة السعودية لم تكن يومًا كبيرة مقارنة ببلدان عربية أخرى، نظرًا لعوامل اقتصادية واجتماعية معروفة. لكن التحول بدأ عندما صار الخروج من البلاد مرتبطًا بالخوف لا بالاختيار، وبالرغبة في حماية النفس والحرية والكرامة، لا بتحسين الوضع الاقتصادي.

ويتركز هذا الخروج في ثلاث فئات أساسية:

1 ـ الناشطون السياسيون والمدافعون عن حقوق الإنسان

وهم الذين استهدفهم القمع الداخلي بشكل مباشر، من خلال الاعتقال والمنع من السفر والتجريم القضائي. كثير من هؤلاء فرّوا بعد الاعتقالات الواسعة في 2017 و2018، فيما عرف بحملة "الريتز" ضد رجال الأعمال والرموز، ثم حملة سجن المدافعات عن حقوق المرأة.

2 ـ المثقفون والصحافيون

وهم الذين شعروا بأن المجال العام لم يعد يسمح بأي مساحة نقد، ولو محدودة، بعد تصفية الأقلام المستقلة وإغلاق المنابر. وتذكر الرشيد ـ صراحة أو ضمنًا ـ أن حادثة

اغتيال جمال خاشقجي مثّلت نقطة تحول حادة جعلت كثيرين يدركون أن الثمن قد يكون حياتهم.

3 ـ الأكاديميون والمغتربون الجدد الباحثون عن فضاء آمن للتعبير

هذه فئة لا تعتبر نفسها "معارضة" بالمعنى التقليدي، لكنها ترفض الخضوع لبيئة الرقابة الصارمة داخل المملكة. كثير منهم وجد في الغرب حرية أكاديمية وفضاءً للتفكير لا يمكن ممارسته في الداخل.

هكذا يتشكّل ـ وفق الرشيد ـ منفى سعودي متعدد الدوافع لكنه موحّد في إدراكه لصعوبة العمل السياسي داخل البلاد.

ثانيًا: المنفى كفضاء لإعادة بناء الهوية السياسية

يستند الكتاب إلى فرضية مهمة: أن الخارج لا يكتفي بإيواء المنفيين، بل يعيد تشكيل وعيهم السياسي.

ففي الغرب تحديدًا، حيث مراكز الأبحاث والصحافة والمؤسسات الحقوقية، يجد المنفي السعودي نفسه أمام:

أ ـ فرصة للحديث بلا رقابة: شيء لم يكن متاحًا داخل البلد. هذه الحرية تدفع إلى بلورة خطاب سياسي أكثر وضوحًا، وأحيانًا أكثر حدّة.

ب ـ الاحتكاك بتجارب سياسية مختلفة: العيش في ديمقراطيات مستقرة يخلق مقارنات لا يمكن تجاهلها، ويعزز فكرة أن الحريات السياسية ليست "رفاهية غربية" بل شرط إنساني عام.

ج ـ بناء شبكات دعم وتضامن: توضح الرشيد أن المنفيين استطاعوا، للمرة الأولى، تشكيل مجموعات ضغط (lobbying) صغيرة ولكن فاعلة، سواء عبر الإعلام أو عبر التواصل مع البرلمانات الغربية.

د ـ تحول الفرد إلى فاعل سياسي: السعودي الذي لم يكن له، داخل بلده، أي دور سياسي بسبب احتكار الدولة للمجال العام، يتحول في المنفى إلى صوت مستقل، وربما إلى رمز.

وهكذا يصبح المنفى ـ في رؤية الرشيد ـ ليس فقط مكانًا بديلًا بل حالة سياسية جديدة.

ثالثًا: آليات مقاومة القمع من الخارج

تتناول الرشيد بالتفصيل الأدوات التي يستخدمها المنفيون السعوديون في مواجهة السلطة:

أ ـ الإعلام الدولي: المنفيون يلجؤون إلى الصحف الغربية الكبرى، مثل (نيويورك تايمز) و(واشنطن بوست)، وهذه المنابر لا توفر فقط جمهورًا عالميًا، بل تأتي أهميتها من كونها مؤثرة في صناعة القرارات في واشنطن ولندن.

ب ـ المنظمات الحقوقية: كثير من المنفيين أصبحوا جزءًا من حملات حقوقية ضغطت ـ في أكثر من واقعة ـ على الحكومات الغربية، وأحرجت السعودية في ملفات الاعتقالات والإعدامات، مثل حملات الدفاع عن لجين الهذلول وآخرين.

ج ـ المنصات الرقمية: وسائل التواصل الاجتماعي سمحت بإسماع أصوات لم يكن ممكنًا أن تصل، ما جعل الرياض تنظر إلى هذه المنصات بكونها ساحة مفتوحة للتهديد السياسي.

د ـ التأثير على الرأي العام الغربي: أحد أبرز استنتاجات الرشيد أن المنفي السعودي نجح في "خرق الرواية الرسمية". فالصورة الوردية التي حاولت الرياض تسويقها عن "الإصلاحات" تراجعت أمام تقارير وحملات مضادة يقودها المنفيون.

وتوضح الرشيد أن هذا ما يفسر رد الفعل السعودي القوي، مثل حملات التشويه الرقمية، أو الضغط على عائلات المنفيين في الداخل، أو حتى التهديدات المباشرة.

رابعًا: كيف ترى الدولة السعودية هذا الشتات؟

تكشف الرشيد أن نظام المملكة السعودية ينظر إلى هؤلاء المنفيين بوصفهم "تهديدًا غير تقليدي":

ـ لأنهم يملكون حرية الحركة والتعبير.

ـ ولأنهم قادرون على الوصول إلى الإعلام العالمي.

ـ ولأن وجودهم في الغرب يجعلهم خارج السيطرة المباشرة للأجهزة الأمنية.

وتشرح الرشيد أن هذا التهديد لا يعود لحجمهم العددي ـ فهم قلة ـ بل لطبيعة المنصات التي ينشطون فيها، وللأثر المعنوي والسياسي لنقدهم في مواجهة خطاب الدولة.

ولذلك، تشير الرشيد إلى أن السلطة السعودية تبنّت استراتيجية مضادة تشمل:

ـ الضغط على أقارب المعارضين.

ـ ملاحقتهم قضائيًا في الغرب عبر دعاوى تشهير.

ـ تشويه صورتهم بوصفهم "عملاء" أو "خونة".

ـ محاولة احتواء بعضهم عبر الإغراء أو الوساطات.

هذه المعركة غير المتكافئة بين دولة ثرية قوية ومنفيين محدودي الموارد، تمنح الكتاب طابعًا إنسانيًا وسياسيًا شديد الحساسية.

خامسًا: حدود التأثير وإمكانيات المستقبل

تقدّم الرشيد تقييمًا واقعيًا: فالمنفيون ليسوا قادرين على إسقاط النظام السعودي أو تغييره جذريًا من الخارج، لكنهم في المقابل يلعبون ثلاثة أدوار محورية:

1 ـ كشف ما يجري في الداخل: وهو دور لا تستطيع الدولة منعه، مهما ضيّقت على الناشطين داخل الحدود.

2 ـ منع بناء صورة زائفة عن "الإصلاحات": لقد ساهم هؤلاء في تعديل مواقف إعلام غربي كان يميل إلى تبنّي دعاية "الإصلاح"

3 ـ خلق ذاكرة سياسية جديدة: فالمنفى السعودي ينتج سرديات بديلة للتاريخ الرسمي، ويصوغ هوية سياسية بديلة، يمكن أن تُثمر مستقبلًا عند أي تحول داخلي.

لكن الرشيد تحذّر من أن هذا الشتات نفسه غير متجانس؛ فبين أفراده ليبراليون وإسلاميون ومستقلون وحقوقيون، ما يجعل مهمة تشكيل "معارضة منظمة" شبه مستحيلة في الوقت الحالي.

خاتمة: شتات سياسي يولد من رحم القمع

يخرج كتاب مضاوي الرشيد بخلاصة لافتة:

أن المنفى السعودي، الذي بدا فرعًا هامشيًا من المعارضة العربية، أصبح اليوم ظاهرة سياسية مكتملة الشروط، لها سرديتها وشخوصها وأدواتها ومخاوفها، ولها أيضًا تأثيرها المتراكم على صورة المملكة وسياساتها.

ليس الشتات بديلًا عن المعارضة الداخلية، لكنه ـ كما ترى الرشيد ـ امتداد ضروري لها في زمن يُجرّم فيه أي نقد داخل البلاد. وهو أيضًا مرآة خارجية تُجبر العالم على رؤية ما تحاول السلطة إخفاءه.

وفي النهاية، يقدم الكتاب سردية متماسكة وضرورية لفهم مرحلة مفصلية من تاريخ السعودية: **مرحلة تتقاطع فيها سياسات القمع الداخلي مع تحوّلات الخارج، فتنتج جيلًا جديدًا من المعارضين أصبحوا جزءًا من مستقبل السياسة السعودية، شاءت الدولة أم أبت.**